ALTRALANG Journal
e-ISSN: 2710-8619 p-ISSN: 2710-7922
Volume 8 Issue 1 / June 2026 pp. 478-494

من ثبات البنية إلى سيولة النص: حفريات في المرتكزات الفلسفية لمحمد سالم سعد الله

Ghania Doumane[1*]
[1]*University of Batna 1 Hadj Lakhdar, Algeria*
ghania.doumane@univ-batna.dz
Abderrezak Bouguettouche[2]
[2]*University of Skikda 20 August 1955, Algeria*
ab.bouguettouche@univ-skikda.dz

Received: 16/11/2025, **Accepted:** 11/05/2026, **Published:** 05/06/2026

From Structural Stability to Textual Fluidity: Excavations in the Philosophical Foundations of Muhammad Salem Saadallah

ABSTRACT: *This study aims to elucidate the theological origins of post-structuralist discourse in the thought of Dr. Muhammad Salim Saadallah, by revealing the unspoken connections between deconstructionist techniques and Kabbalistic metaphysics. Our study employs a comparative analytical approach, examining Dr. Saadallah's "philosophy of isolation" and tracing the procedural parallels between "the isolation of the Creator" and "the death of the author." This parallelism seeks to marginalize the center, highlighting the diversity and multiplicity of meanings, all within the context of the absence of a critical Arab perspective that views and interprets through the lens of the other. The study concludes with several key findings, most notably that post-structuralism, in Saadallah's view, is not merely a linguistic leap, but rather a confluence of Kabbalistic interpretations, Marxist philosophy, Hegelian dialectics, Nietzschean genealogy, Husserlian phenomenology, and Heideggerian deconstruction. It strives to undermine centrality and replace certainty with semantic fluidity. The importance of this study lies in its ability to expose the ideology of "absence" and warn critical thinking against the alienation inherent in approaches that fragment the text, reducing it to a labyrinth of signifiers devoid of meaning. It is an attempt to restore the value of intentionality in the face of "free play with meaning," and a call for contemporary rationality and the development of critical frameworks with epistemological approaches that can be applied in various fields.*
KEYWORDS: Deconstruction, Phenomenology, Critical Mind, Qabbalism, Post-structuralism.

الملخص: تستهدف هذه الدراسة استجلاء الأصول الثيولوجية (اللاهوتية) لخطاب ما بعد البنيوية في فكر الدكتور محمد سالم سعد الله، عبر كشف المسكوت عنه في الروابط العميقة بين التقنيات التفكيكية والميتافيزيقا القبلانية .اعتمدنا في دراستنا على المنهج التحليلي االمقارن، حيث قمنا باستنطاق "فلسفة العزل" التي طرحها الدكتور محمد سالم سعد الله، وتتبع التوازي الإجرائي بين "عزل الخالق" و"موت المؤلف"، في سعي الى تهميش المركز واختلاف الدلالات وتعددها، وفي ظل غياب الخصوصية العربية النقدية التي تنظر بعين الاخر، وتقرأ بأدواته .وقد خلصت الدراسة إلى نتائج محورية أهمها: أن ما بعد البنوية في منظور سعد الله ليست مجرد قفزة لسانية، بل هي: تأويلات قبلانية والفلسفة الماركسية وديالكتيك هيجل وجينالوجيا نيتشة وظاهراتية هوسرل وهدمية هايدجر، تسعى لتقويض المركزية وإحلال السيولة الدلالية محل اليقين. تكمن أهمية هذه الدراسة في قدرتها على تعرية أيديولوجيا "الغياب" وتحذير العقل النقدي من الاستلاب خلف مناهج تجزّؤالنص وتحيله إلى متاهة من الدوال التي تفتقر للمدلول. إنها محاولة لإعادة الاعتبار للقصدية في مواجهة "اللعب الحر بالمعنى، والدعوة الى العقلانية المعاصرة وإيجاد صيغ نقدية ذات معالجات معرفية يمكن استثمارها في ميادين مختلفة.
الكلمات المفتاحية: التفكيكية، الظاهراتية، العقل النقدي،القبلانية، ما بعد البنيوية.

* Corresponding author
ALTRALANG Journal / © 2026 The Author(s). Published by the University of Oran 2 Mohamed Ben Ahmed, Algeria.
This is an open access article under the CC BY license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

المقدمة:

لم تكن آليات الانتقال من البنوية الى ما بعد البنوية من جرد لحظة استبدال منظومة نقدية بأخرى بل كان إعلانا عن تصدع المركزيات الصارمة انطلاقا من تجاوز صور التناقض التي تكسو المظاهر الاجتماعية والفكرية المختلفة وتأويل الاشياء وطبقا لضرورات مرحلة معينه مما يحقق انفتاح النص على احتمالات التأويل والسيولة المعرفية، في خضم هذا المخاض الفكري يطعم المؤلف الدكتور محمد سالم سعد الله: نقد النص فيما بعد البنوية الأسس الفلسفية ليقدم قراءة استنطاقية رصينة، تتجاوز السطح النقدي لتغوص في الجذور الفلسفية العميقة التي شكلت الفكر النقدي الحداثي وما بعد الحداثي.

تكمن أهمية هذه الدراسة في قدرة الباحث على فك الصراع بين " إشكالية المصطلح " و"سلطة المنهج" أين لم يكتف محمد سالم سعد الله برصد التحولات بل عمل على تأصيلها فلسفيا بربطها بالمنطلقات الأولى من نيتشه وهيجل وصولا الى استراتيجيات التفكيك عند ديريدا وسيمائيات بارت. ومن هذا المنطلق يسعى هذا المقال الى استجلاء المرتكزات المنهجية التي اعتمدها الباحث وإبراز دوره الفاعل في تتبع مسارات الأسس الفلسفية للظواهر النقدية للوصول الى تنظيمها الفكري وكشف منطلقاتها المعرفية، وكيف استطاع من خلال رؤيته النقدية أن يمنح القارئ العربي خارطة طريق تمكنه من فهم آلية اتساع المعنى والاقتراب من الحقيقة النسبية في تحليل الظاهرة النقدية بتعدد خطابها في فضاء ما بعد البنيوية.

1-إشكالية المصطلح :

يعد عنوان كتاب الدكتور محمد سالم سعد الله :" نقد النص فيما بعد البنيوية الأسس الفلسفية "من أدق العناوين وأشملها لما يحمله المؤلف من زخم نقدي كبير. يدخل مشروع الكتاب في صميم النقد العربي الحديث وطروحاته الاجرائية والتحليلية، ومقارباته الجمالية ،لأنه يقدم صورة واضحة عن طبيعة اشتغال النقد الغربي ومناهجه الحديثة، التي تكون مدعاة لبيان مسيرة النقد العربي المعاصر انطلاقا من بنائه على معطيات النقد الغربي وأطروحاته الفكرية والفلسفية، وتعمل على خلق فاعلتها، وترسم من ثم هويتها المنشودة، وكيف أن النقد العربي المعاصر أصبح مدعوا إلى تذويب هويته في ظل هذه المناهج، والدخول في متاهات الفكر العالمي .

وعمد الدكتور محمد سالم في بحثه على مجمل العلاقات التي تربط بين الأدب والنقد من جهة، وبين النقد والفلسفة من جهة ثانية، وبين النقد وسائر العلوم الأخرى من جهة ثالثة، معتمدا في ذلك على طبيعة اللغة العربية الشاملة وحيويتها في استيعاب الجهد المعرفي والثقافي المرتبط بعمليات النقد والابداع الأدبي، بوصفه الأول تنظيرا، وثاني تطبيقا.

ومثل هذا التقسيم لدليل على الروح النقدية المتقدمة الحقة التي يتحلى بها الدكتور. " محمد سالم"، ففي تصورنا أننا في عالمنا العربي نجنح إلى أحد الطرفين، الأول هو التنظير المجرد الذي لا يربطه رابط بواقع عالمنا الأدبي، ومن هنا يصدر سيل الكتب عن المناهج الغربية المختلفة، وإما نحو كتابة دراسات تطبيقية لا ينظمها إطار نظري واضح. وكلا الاتجاهين ينطوي على محاولة الهروب من إصدار أحكام حقيقية واضحة، فالتنظير دون التطبيق لا يمكن الحكم عليه، أما التطبيق دون إطار نظري فيفتقد إلى المقياس الذي يمكن أن نحتكم اليه.

حاول الباحث توخي الحيطة في مقاربته للنصوص نظرا لطبيعة تلك النصوص، فهي مشبعة بالتوجهات الفكرية والسياسية، وقد أشار البحث في مواطن عديدة إلى بيان تلك التوجهات، واسندها إلى مرجعياتها قصد الاقتراب من الحقيقة النسبية في تحليل الظاهرة النقدية، وإسنادها إلى أسسها الفلسفية وعدم التسليم بموضوعيتها مستعينا بالأدوات المنهجية الحديثة. سعيا من الباحث إلى تمهيد قراءات أفضل لواقع النقد العربي المعاصر، وترسيم خصوصية منهجية له.

1.1- مأزق المصطلحات بين مراكمة المفاهيم وتحليلها:

هل تمتلك المسيرة النقدية المعاصرة هما معرفيا يندرج ضمن أولويات تحقيق الصلة بين جانبي الأداء الوظيفي (النص والتلقي)؟ وهل المناهج النقدية ذات المنطلقات الفلسفية النسبية تدرك نسبيتها، بمعنى أنّ النقد يدرك تماما أنّ الحقيقة المطلقة امر مستحيل الوصول اليها؟

ضمن هذه التساؤلات حاول الدكتور محمد سالم سعد الله وضع استراتيجية خاصة لشرح تطور المصطلحات النقدية إيمانا منه بخصوصيتها في مجالها الحضاري الذي نشأت فيه وتأثرت به وبإيمانه بالخصوصية وهو إيمانه " بالنسبية اذا انه اذا كان لكل ظاهر خصوصيتها، فهذا يعني أنها لها قوانينها الخاصة " (المسيري، 2007، صفحة 316) التي تحكمها وتحكم نظامها النقدي في مسيرة تطوره .

ويحدد الدكتور محمد سالم المصطلحات في كتابه بوصفها مصطلحات ذات تحديدات منهجية من حيث انها تتداخل وتتضامن وتتناص مع مصطلح (ما بعد البنيوية)،وكان لتداخلها أثر في تحديد المنهجي لتوزيع المباحث الإجرائية لما بعد البنيوية ،ويمكن- حسب رأيه -عدّ هذه المصطلحات مرتكزات لسانية حيوية تقدم فرضيات الخطاب الغائي المجاوز بطبيعته الدلالية مستوى الخطاب البنيوي، والجاري تبعا لمعايير الطرح المنهجي الجديد مع معطيات التقويمية ونقدية لمسار البنيوية الجدلي وقد حصر هذه المصطلحات في :

1. ما فوق البنيوية: superstructuralism
2. ما بعد البنيوية: portsructuralism
3. التفكيكية Deconstructuralism
4. اللابنيوية: Antistructuralism

أي أن مصطلح superstructuralism يشير الى إمكانية منح البنيوية إطارا موسوعيا باعتبار ما سيكون، وليس باعتبار ما هو كائن، أي بعد الممارسات التي تأسست على انقاذ البنيوية، وأخذت ترسم مناهج متباينة تتمثل في الممارسات [2]:

1. البنيوية: structuralism
2. ما بعد البنيوية: Poststructuralism
3. السيميائية semiotic:

وعدد الباحث المناهج المتفرعة من الممارسات السابقة الى:

1. اللاكانية lacahism
2. اللا لتوسيرية Althusserism
3. الدريدرية Derridaism
4. الفوكوية Foucanltism
5. البودريلاردية boudrillardism
6. الديلوزية Deleuzism
7. البارتية Barthesism

إن الدكتور محمد سالم لا يفرض المصطلحات بل يستنتج ترجمتها وفق منطق دلالتها وبنياتها، فمصطلح (superstructuralism) هي ما فوق البنيوية ،لأنها تأتي من مصطلح البنيه الفوقية (superstructure)الذي يشير الى مجموعة تشكيلات اجتماعية واقتصادية مشروطة باختلاف أساليب الانتاج المحددة من قبل القوى المنتجة التي تشترط مطابقة علاقات الانتاج لتوجهاتها. (كوفالسون، د س،

الصفحات 68-69)، والملم بالممارسات السابقة التي انطوت تحت مصطلح (ما فوق البنيوية) لأنها تنبثق من معالجات تتجاوز البنيوية لتجعل من الأبنية التحتية المرتبطة بالنص والممثلة بـ : (اللاوعي، المادة، الجنس، الصراع الطبقي ،المرجع، الابستيم، اللذة .....)، تجعل لها أولوية في الطرح والممارسة على الأبنية الفوقية للنص والمتمثلة بـ :(النظام، التركيب، السياق، اللغة، العلامة، الرمز، الأيقونة....)، ويواصل الباحث في كتابه الى شرح جملة التحولات المنهجية التي طرأت على مصطلح (ما فوق البنيوية) من اللاعلمية antiscientism ومن تقديم تحليلات وتأويلات لفرويد وماركس إلى نقد طروحاتهما وايجاد البديل، ومن دراسات في اللسانيات والصيغ الاجتماعية الى دراسات تخصصية دقيقة في السلوك اللغوي والاجتماعي. (سالم سعد الله، 2017، صفحة 9)

كما سلط الضوء على العديد من آراء الباحثين حول المصطلح وركز أكثر على رأي مارلاندا الذي اعتبر مصطلح ما فوق البنيوية مصطلحا واسعا، وشاملا بحيث يغطي جميع الفعاليات المنهجية التي تؤسس على الطرح البنيوي، وبهذا جعل مصطلح ما بعد البنيوية تابعا لمصطلح ما فوق البنيوية بل جزء منه، ثم عمد الى تحديد الصيغة المنهجية لما بعد البنيوية مفصلا إياها على معطيات أصحابها، لا على معطيات مناهجها.

أما مصطلح ما بعد البنيوية poststructuralism وهو موضوع طرح الكتاب، قد حاول الباحث الإلمام بكل مفاهيم وشروحات المتنوعة للمصطلح وفقا لسلسلة من التحولات النقدية العالمية ابتدأت بموسكو ووصلت لجنيف وحطت ببرلين وانتقلت الى كوبنهاجن وتطورت في باريس ،واستقرت في واشنطن ،ويعزو ذلك الباحث في تمخض مجموعة من الولادات في بنية النظام الثقافي الاجتماعي نظرا لأن السلطات مرحلة ما بعد البنيوية رفعت معدلات الرصيد النقدي ليتسلل الى أنشطة مختلفة : (السياسة، الدين ،التعليم، الاقتصاد، الاجتماع، الثقافة، ...) . مسلطا الضوء على السبب الرئيسي لامتداد ما بعد البنيوية وهيمنتها على المجال النقدي لأنها نصبت القدرة النقدية لها لمواجهة العوامل التي قد تضعف من تقدمها ،أو تقلل من أهمية نتائجها ،وبذلك تشكلت منطقتها لتشمل معظم الساحة النقدية العالمية امتداداً من أمريكا الى اليابان، في حين تشكل رقعه المنهجيات الأخرى نسبة هشة من الرصيد النقدي العالمي، ليحيل المتلقي إلى مستوى أعلى في تشريحه للمصطلح، أين يرى فيه موازياً لشعار "الأحادية القطبية" والتفرد الأيديولوجي والقرصنة التحليلية، التي وجدت لها البيئة المثلى في المدرسة الأمريكية النقدية.

ثم يضيف الدكتور محمد سالم مستوى ثالثاً في شرح المصطلح، مؤكداً أهميته الوظيفية- في أن "ما بعد البنيوية"- هي الممارسة الاستراتيجية نقدية بتناسب عكسي بين انخفاض نسبة الحضور الإنساني (Humanism) ،وارتفاع نسبة النصية (textualism)، والخطاب (Discouralism). في محاولة للانضمام إلى إصلاحات هيكلية للتخلص من تركات البنيوية (سالم سعد الله، 2017، صفحة 12) ، وفي خضم ما يراه الدكتور المداخلات المربكة نوعاً ما- يرى أن تحديده للمصطلح "ما بعد البنيوية" -أشبه بلقاء غير منظم لرسم دور حيوي وفعال في نشاط ما، معتمداً في ذلك على البون الشاسع بين تحديدات النقاد، والمفكرين لهذا المصطلح.

حيث يتفق مع مادان ساروب في تحديده لما بعد البنيوية بمجموعة من أعلام النقد الحديث، وهم: (ديريدا، فوكو،ليوتار، دولوز، جوتاري، هابرماس.) والذي يرى أن ما بعد البنيوية قد شاركت طروحات البنيوية في التحليل النقدي التاريخي (Historysm)، والتحليل النقدي للدلالة، والتحليل النقدي للفلسفة، ثم امتازت ما بعد البنيوية بخصائص اهالتها الى قياده النقد بعد مرحله البنيوية ومن تلك الخصائص التي عددها الدكتور محمد سالم في كتابه مؤمنا بانها أهم الوظائف النقدية التي حققتها ما بعد البنيوية:

1. زعزعة بنية اللغة وخلخلة الحصن المنيع لها، لأنها قوضت وحدة العلاقة المستقرة بين الدال والمدلول.
2. أكدت أن التجاوب بين النص والقارئ هي تجربة إنتاجية (production)، بعد أن كانت تجاوب عند البنيوية بين النص ونفسه.
3. طال التحليل النقدي لما بعد البنيوية الميتافيزيقا ،ومفاهيم العلة ،والهوية والذات.

4. استكشاف إمكانيات الشهوة وطاقاتها، عبر الاستفادة من معطيات التحليل النفسي، لأن تحليل ما بعد البنيوية تهيمن عليه الدلالات الجنسية.

5. خلقت ما بعد البنيوية مسافات توتر شديدة بين اللغة وعلاقاتها بالإنتاج (production) والآلة (machine) والشهوة (Désire)والمادة (Matery) والاستهلاك(Consumption).

6. تبنت ما بعد البنيوية جميع طروحات(نيتشه) في سيرتها النقدية ،التي تتمثل بالعداء لفكرة النظام (system) ،ورفض فكرة هيجل للتطور، وانتقاد مسيرة التشابه، والتطابق، والدعوة الى الاختلاف والاهتمام البالغ بالقدرات الخارقة للفرد وإمكانياته غير المحدودة (Infinity) .

7. مناصبة العداء لكل أشكال النظرية السياسية والمعتقدات المختلفة التي أسهمت في تحجيم الممارسات الاجتماعية والتأثير عليها.

لا يقنع الدكتور محمد سالم في دراسته للمصطلح برصد المفاهيم وشرحها، إن بحثه يقوم على المسح الأفقي والعمودي لتحديد أهم معالم المصطلح وتأثيراته النقدية فيعرض آراء أهم المنظرين للمصطلح مثل ساروب والذي لخص موقف ما بعد البنيوية بالقول:" إذا كانت الماركسية خطأ فليس هناك شيء صحيح ".وأما جوناثان كيلر فيحدد صيغه ما بعد البنيوية بوصفها إفرازات لبعض المفاهيم المربكة التي تهتم حصرا بالتأويل ،وقد نتجت تلك المفاهيم من قراءة لحظه البنيوية في حين حدد هاري المعطيات النقدية لما بعد البنيوية بمعطيات (بارت وفوكو، دريدا، وفول ديمان، وادوارد سعيد، وميشيل سيدرس، وجيرار جينت ،وميكائيل ريفاتير) .أما رامان سلدن فيحدد موقف ما بعد البنيوية بمتابعة فاعلية الدال المتواصلة في تشكيل سلاله . وتيارات متقاطعة من المعنى مع الدوال الأخرى أي اكتشف هذا الموقف الطبيعة الغير ثابته في عمليه الدلالة، فضلا عن تحديده -أي سالدن - ما بعد البنيوية بوصفها نظريات عدة شملت حسب رأيه :بارت وجوليا ولاكان وديريدا وفوكو وادوارد سعيد، ويوسع الدكتور محمد سالم دائرة تحديد موقف ما بعد البنيوية ليشمل كثير من الآراء التي كلها تتفق - مع سالدن - ككاثرين بيلسي وريتشارد هارلاند وجون ستروك واديت كيرزول وروبرت شولز وتيري إكتون . (سالم سعد الله، 2017، صفحة 14) .

فضلا عن أن هناك من درس معطيات ما بعد البنيوية ضمن ما يعرف بنظريات الخطاب (Théories of discourse) منطلقين من فكرة أن ما بعد البنيوية تستخدم الخطاب بدلا من المنطق بوصفه المعيار الاساسي للمعنى. (ميكدونيل، 2001)

أما المصطلح الثالث الذي تناوله الدكتور محمد سالم هو Deconstructuralism الذي يترجم (بالتفكيكية) يوضح تداخله المنهجي مع مصطلح ما بعد البنيوية أين يصعب الفصل الاجرائي بينهما ،وهو اتجاه معظم النقاد المعاصرين ومنهم : كاريس وودن، ديفيد هواي وفرانك ليتريكيا، وايتن رايت وسوزان سليمان، وليم راي....، وفي تشريح الباحث للمصطلح يرى أن خيار مقاربة مصطلحين ما بعد البنيوية والتفكيكية هو خيار نقدي منهجي، لأن المتتبع لمسيرة تطور ما بعد البنيوية يجد تلازمها الكبير مع الطرح التفكيكي منذ بدايته، فضلا عن أن الممارسات النقدية لكليهما يصب في النبع ذاته.

إن التحول من البنيوية الى ما بعد البنيوية هو تحول من مسار احتكار البنية الى مسار ترويضها -بمعنى اخر هو الانتقال من البنية المركزية الى البنيه المهمشة -وقد قاد هذا الطرح الى المطالبة بإحلال العملية الميكانيكية الى نسبية فلسفية غير واضحة الملامح، والى إحلال (الخطاب، والدال والنص) محل المصطلحات القديمة أو التقليدية في الفلسفة (الجوهر، المادة، الهيولى..) ومن ثمة إحلال بعض الثيمات المتعلقة بالتحسين اللامتناهي الخاص بتعدد القراءات. بحيث مثلث ازاحة المعاني والمراجع الثابتة ضربا من التحرر الجنسي الفانتازي (Fantaisie) ونشاط بديل يقوم حين تستحيل الثورة السياسية او لا يعود مرغوبا فيها. (ليوناردو، 2001، صفحة 245)

لم يضيع الدكتور محمد سالم تفاصيل هذه المقاربة واضعاً كل مصطلح في إطاره المعرفي ضمن آلياته الوظيفية، مبينا سماته ونلمس ذلك خلال تساؤله: اذا كانت طرح التفكيك وما بعد البنيوي واحدا فما هو الاختلاف بين تبني المصطلحين؟

وكان جوابهم محددا ضمن معالم الاختلاف بينهما وهو اختلاف بيئ سياسي، لا اختلاف منهاجي وظيفي ،لأن مصطلح التفكيكية يستخدم في أمريكا، ويقابله مصطلح ما بعد البنيوية في فرنسا ،وقد أرادت المؤسسات الثقافية في هذه الأخيرة الاحتفاظ بكل ما يتصل بالموروث النقدي الفرنسي المتصل بالبنيوية، ولم يرد الفرنسيون تناسي التحولات المهمة التي احدثتها البنيوية، وتصارعها المعرفي مع الهيجيلية والوجودية ،والظاهراتية والربط العضوي الجدلي بين الفلسفة الفرنسية والبنيوية الفرنسية. وبهذا نمت في سياق تلك التطورات عمليات كبرى بإقصاء الانسان وبناء فلسفة جديدة متحررة من الميتافيزيقا متكيفة مع توجهات الانسان الأوروبي الجديد في التطلع لاكتساب الحاضر، والانطلاق الى المستقبل.

2.1- إشكالية المصطلح في النقد العربي:

يطرحها الدكتور محمد سالم أولًا: من خلال أزمة الهوية بين التلقي والوافد والواقع الحقيقي، حين سلط الضوء على إشكالية جوهرية، وهي أن المنهج النقدي العربي الحديث لم يتشكل نتيجة تطور داخلي، بل نتيجة صدمة الحداثة.

أين يتساءل عما إذا كان قد تم تحقيق الهوية العربية عند امتلاك وتبني الطرح النقدي الوافد، وفي حال التسليم ، هل كانت الأولوية بتقبل الطرح المنهجي: إرادة الناقد أم لمصلحة البيئة النقدية الاجتماعية...؟ (سالم سعد الله، 2017، صفحة 35) ،وهو يؤكد أن الناقد العربي يطالب بتحقيق الهوية أولاً، ثم تأتي مرحلة اقتحام النص ثانياً؛ مما يجعل العملية النقدية متباينة عن الطرح الغربي الذي يقتحم النص مباشرةً من خلال تفكيك رموزه وأشكاله، مع تغييب المعنى.

ثانيا: حين صنف الدكتور محمد سالم ما يعرف بـ"الاضطراب المفهومي" في معادلات ما بعد البنيوية، والتي تكشف عن حالة التشتت في حصر المصطلح، ويُقَسِّمُ الباحث هذه المقاربات إلى قسمين:

1- الاتجاه الاختزالي الذي يخصِّص مصطلح "ما بعد البنيوية" في التفكيكية فقط، كما عند صبري حافظ، سعد البازغي، أحمد أبو زيد، وميجان الرويلي.

2-الاتجاه التوسعي الذي يتبنى "ما بعد البنيوية" بكل حمولاتها النقدية، ومن أبرز ممثليه: بارت ولاكان وطوسير،وفوكو ودريدا. (عزمي، 1987)، والاتجاه المنهجي المختلط: الذي زاوج بينها وبين نظريات التلقي كما في معادلة "ما بعد البنيوية =التفكيكية+ التداولية + نقد نظريات الاستقبال والتلقي". (ثامر، 1994، صفحة 37)

كما سلَّط الكاتب الضوء على مبررات النقاد في الهروب إلى التفكيك، سواء من حيث تأثرهم بانتشاره وتبنّي مبادئ جاك دريدا، أو الرغبة في القطيعة مع البنيوية، ومحاولة الاكتفاء بالجانب الإجرائي اللغوي من جهة، والتركيز على أن "الظواهر الثقافية عبارة عن بنى تمتاز بالكلية والتحول والضبط الذاتي" (سالم سعد الله، 2017، صفحة 37) من جهة أخرى، وذلك اعتمادًا على المرتكزات العشرة بين النظرية والتطبيق. وأن النقد العربي تبنّى فكرة تغييب الذات لصالح سلطة النص.

2. الامتداد الفلسفي من منطلقات نيتشه الى ظاهرية هيدجر:

يرى الدكتور محمد سالم سعد الله أن الوعي النقدي الغربي لم يتشكَّل بشكلٍ مفاجئ، بل كان حصيلةَ لحظاتٍ فلسفيةٍ تراكميةٍ، استمرت من خلال الأسئلة الكبرى لتحويل التجربة من نظام إقليمي ضيّق إلى نظام موسوعي، يتجاوز كشف الحقيقة التقليدية ليصل إلى مرحلة "العقل الخارق" (super -rational).

وتُعَدُّ "اللحظة النيتشاوية" الممتدة حتى عام 1900 م من أهم اللحظات التي مهَّدت لـ"ما بعد البنوية"، ليس لذاتها فقط، بل لكونها مُضيئةً لغيرهاو مؤثرة في الساحة المعرفية والنقدية عبر طرحها العدمي (Nihilism).

وقد حصر المؤلف معطيات هذه اللحظة في أربع ركائز أساسية: (ثامر، 1994، صفحة 67)

1- موت الإله (The death of God) وهو المفهوم الذي مهّد لزعزعة المركزية وسقوط المرجعيات المطلقة

2- الانسان الخارق (Superman)الذي يمثل تجاوز القيم التقليدية والبحث عن افق انساني جديد

3- إرادة القوة(Will to power) التي تحول الصراع المعرفي إلى صراع قوى وتأويل. (ثامر، 1994، صفحة 67)

4- العود الأبدي(Eternal récurrence) [3]الذي يكسر خطية الزمن والمفهوم التقليدي للتاريخ.

وفي الكشف عن الطرح النيتشوي، قام الدكتور محمد سالم بالإشارة إلى المغامرة المعرفية التي تهدف إلى رصد مراحل "الأنسنة" (Humanization) (ثامر، 1994، صفحة 67) من خلال الواقع والتحولات العميقة في نشاطاته، مما مهَّد الطريق لاحقاً للفلسفة الظاهراتية ونظريات الاستقبال.

ويُتسِّم كتاب "الأسس الفلسفية لما بعد البنيوية" بعمق استثنائي، حيث لا يكتفي بعرض الأفكار، بل يفكك شبكة التناص الفلسفية التي شكلت وعي نيتشه، وأدت بالضرورة إلى ما بعد البنيوية.

"ولقد كانت معطيات اللحظة النيتشوية- كما يرى البحث - حصيلة تناص (Intertextuality) مع لحظات فلسفية أخرى، ألقت بظلالها على اتجاه الحركة التصاعدية في تفعيل تلك الفرضيات والممارسات على الصعيد العياني في مختلف المجالات: السياسية والاجتماعية وحتى النفسية منها." (ثامر، 1994، صفحة 68)

يرى أن المؤلف يؤكد أن اللحظة النيتشوية لم تولد من فراغ، بل هي حصيلة تناص مع ثماني لحظات فلسفية كبرى رسمت المسار الفكري لأوروبا وهي: (ثامر، 1994، صفحة 68)

أ- الأسس المعرفية من ديكارت إلى كانط:

- **اللحظة الديكارتية**: مثلت الشك أساساً لليقين، وهي الخطوة التي استثمرها نيتشه لتقويض الأوهام الميتافيزيقية كما نعرفها .
- **لحظة سبينوزا**: اشترك مع نيتشه في نقد اللاهوت، ولكن اختلف في المصدر؛ فإلحاد نيتشه نابع من عزل الإله لإعطاء السلطة للإنسان (أي الأنسنة).
- **اللحظة الكانطية**: استعار نيتشه من نقد العقل لدى كانط لرفض المقولات الجاهزة، رغم تضارب رأيهما حول السلام والديمقراطية.

ب- الأسس الحيوية والصراعية من هيجل إلى ماركس:

- **اللحظة الهيغلية**: أمدت نيتشه بالوعي التاريخي وبمفهوم الجدلية (الديالكتيك) وصراع الأضداد، وهو ما أعاده نيتشه إلى أصله اليوناني عند هرقليطس.
- **لحظة شوبنهاور**: كانت من الأسس الرئيسية لنيتشه، حيث استمد منها فكرة "الإرادة كمنبع للإبداع بنظرة تشاؤمية" (دومان، صفحة 459) وفق شوبنهاور، وتحويلها إلى إرادة القوة الفاعلة.

- **اللحظة الماركسية**: تتقاطع مع نيتشه في التوجه الإلحادي (أي إنكار الإله) ونقد الممارسات الدينية، لكن مركز القوة عند ماركس هو الجماعة، بينما وجهها نيتشه للفرد (سوبرمان ،الأنسنة).

يخلص المؤلف إلى أن هذه التراكمات المعرفية أدت إلى ظهور مؤشرات أساسية لما بعد البنيوية، أهمها:

- التحول من الوحدة إلى التعدد، أي رفض الأحادية التأويلية، واعتبار النص شبكة من التناصات لا متناهية.
- استبدال الجوهر بالأثر كما فعل دريدا، حيث أصبح المعنى هلامياً، متفرعاً، وغير مستقر.
- نقد المؤسسة المعرفية، كما تجلى عند فوكو في ربط المعرفة بالسلطة. وهذا الفعل هو انعكاس واضح ومباشر لإرادة القوة النيتشوية.

حيث يرى الدكتور محمد سالم في رصده للتحول من اللاهوت إلى الأمثلة على فكرة "الإزاحة"، أي إزاحة الإله المركز لتمكين الإنسان الخارق. وهذا يظهر الاختلاف بين إلحاد نيتشه وسبينوزا، فإلحاد نيتشه يعني "عزل الإله" ليمنح السلطة المطلقة للإنسان في التشريع والحكم، وفق القاعدة: "من أجل بناء معبد، لا بد من هدم معبد آخر". (نيتشه، 1981، صفحة 89)

يُشكِّلُ هذا التحولُ حجرَ الأساس لمفهوم "موت المؤلِّف" في النقد الحديث، حيث تنتقل سلطةُ المعنى من الخالق (المؤلِّف) إلى القارئ (الإنسان).

3. التحولات المنهجية من الظاهراتية إلى نظريات الاستقبا:

حيث ينتقل الدكتور محمد سالم في تحطيم أصنام البناء الفلسفي عند نيتشه إلى إعادة بناء الفهم عبر اليتين : الظاهراتية والهيرمينيوطيقا، وصولاً إلى تتويج القارئ كمركز العملية النقدية.

أ- جسر الهيرمينيوطيقا(التأويلية):

بين الفلسفة والنقد يرصد المؤلف تحولاً جوهرياً في مفهوم الفهم؛ حيث لم يعد النص مجرد كمٍّ من المعلومات في بنية عامة، بل أصبح حدثاً تأويلياً منفتحاً. وقد نجح في إبراز دور بول ريكور وجادامير في نقل التأويل من "الشرح"(Explanation) إلى "الفهم" (Understanding) (سالم سعد الله، 2017، الصفحات 88-89) ، وربط منهجي بامتياز؛ لأنه يشرح ويوضح كيف مهَّدت الفلسفة الطريق للنقد الأدبي ليتخلى عن البحث في نية المؤلف لصالح أفق النص وانفتاحه.

كما استطاع الكاتب إظهار كيف أن جادامير جعل من اللغة وسيطاً وجودياً، وفقاً للمعادلة الآتية:

(منهجية جادامير الظاهراتية التأويلية = فلسفة الفهم التاريخي + علم الجمال الإدراكي + التأويلية). وترتكز هذه المعادلة على إضفاء الأبعاد الفلسفية للتأويل، وتنبني على وجودية اللغة، وعلى الحقيقة التي تحاول الذات الوصول إليها (ناصف، 2000، صفحة 111) ؛ مما يفسر لاحقاً اهتمام ما بعد البنيوية بـ"سيولة[(*)] الدال" وغياب المدلول الثابت.

[(*)] يرتبط مفهوم السيولة بما سماه المؤلف أنسنة الواقع فبما أن الدال سائل وغير مستقر فإن القارئ هو من يمنحه تجمدا مؤقتا أو دلالة معينه أثناء فعل القراءة وبذلك تصبح النصوص فضاءات مفتوحة وليست قوالب مغلقة وهو ما يعزز فكرة العقل الخارق الذي لا يقنع بالظاهر ويغوص في تحولات المعنى.

ب- مركزية القارئ ضمن نظريات الاستقبال (آيزر وياوس):

يعدُّ هذا الطرح من أدق جوانب الدراسة، خاصةً أنه يربط الفلسفة بالفعل النقدي؛ حيث يتبع المؤلف تحوُّل "إرادة القوة" النيتشوية إلى سلطة القارئ وذلك في بنية النص، عندما حلَّل "الفراغات" (The gaps)عند آيزر، الذي يعتبر أن النص لا يكتمل إلا بمشاركة القارئ في تشكيل وحدات كلية خلال عملية مشاركته في إنتاج المعنى؛ إنه يملأ الفجوات. وهكذا تصبح العملية النقدية ليست حكماً نقدياً، بل هي فعل استجابة.

وفي ربط الأدب بحركية التاريخ والمجتمع، يرجع المؤلف الفضل لهانس روبيرت ياوس في طرح "أفق التوقعات"، مخرجاً النص من عزلته البنيوية المغلقة بوصفه مصدراً يتوسط بين الماضي والحاضر معيناً في فهم الدلالات السابقة بوصفها جزءاً من الممارسات الراهنة. (هولب، 1999، صفحة 154)

ج- الأسلوبية التأثيرية لستانلي فيش:

يشرح الدكتور محمد سالم في كتابه كيف وصلت أنسنة المعنى إلى ذروتها مع ستانلي فيش، أين أصبح المعنى حركةً مستمرةً في ذهن القارئ، وليس شيئاً مستقراً في متن النص. حيث تتلخص معطيات فيش في مصطلح "تجربة القارئ"(The reader's experience) فمعرفة المتكلم الدلالية تمكنه من معرفة معاني الكلمات المفردة، وكيفية تأليف تلك المعاني بحيث تكون منسجمة. (سالم سعد الله، 2017، صفحة 100)

ومما سبق، يشير المؤلف بدقة إلى أن هذه المدرسة :(آيزر ياوس فيش) قد أزاحت بؤرة التفسير من النص إلى القارئ، وهو ما يمثل جوهر الانعطاف فيما بعد البنيوية التي تسعى لزعزعة أي مركز ثابت للمعنى، وقد أجاد المؤلف في طرح التسلسل المنطقي للعدوى الفكرية وشبكة التطور النقدي ضمن تداعيات فلسفية؛ فهو يسلط الضوء على عملية انتقال الشك من الفلسفة (نيتشه) إلى الوجود (هيجل)، ثم إلى اللغة (بول ريكور)، وصولاً إلى القارئ مع (ياوس وفيش).

4. التحول من لسانيات دي سوسير إلى سيميائيات بارت:

يتناول الناقد محمد سالم طرح هذا التحول من اللسانيات كحقل معرفي مغلق إلى السيميائيات كفضاء معرفي مفتوح، أين ينجح في إبراز الأزمة المعرفية التي انبثقت عنها ما بعد البنيوية.. فبينما تتم دراسة النظام اللساني عند دي سوسير من خلال ثنائية الدال والمدلول، جاء رولان بارت ليقوض هذا البناء عبر مفهومي "سيادة الدال" واللعب على أوتار التأويل.

يشير المؤلف إلى أن ما بعد البنيوية قدمت خدمات جليلة للثقافة الغربية، لأن التأويل النقدي فيها عمد إلى قلب "الحقائق" الثابتة، حيث تحول المعنى المناقض إلى المعنى الأساس: المقاومة أصبحت "إرهاباً"، الإبداع أصبح تقليداً، الدين أصبح "رجعية"...، والمدلول أصبح مضللا ،الجنس أصبح "مباحاً" ،الصيغ العقلانية غدت "عولمة" ،المعنى الفلسفي والمعرفي أصبح "أمركة" Americanization. (سالم سعد الله، 2017، صفحة 101)

لكن أصحابها يؤكدون أن ما بعد البنيوية لم تهدف إلى الهدم من أجل الهدم، بل لتقويض ما يسمونه "المركزيات المتسلطة"

قارن الدكتور محمد سالم بين النموذج السوسيري (دوسوسير) والنموذج البيرسي (بيرس)، أو ما يسميه مزاج بيرس ثلاثي التفريغ في مقابل مزاج دوسوسير" ثنائي التفريغ" (دال، 1988، صفحة 117)، ليُظهر التباين الجوهري بين:

- الثنائية السوسيرية المتمثلة في الدال والمدلول – والتي يراها منغلقة ومرتبطة بالتشيؤ المادة (الشيئية) –
- الثلاثية البيرسية المتمثلة في "المُمَثِّل" و"الموضوع" و"المؤول".

يوفق المؤلف في عرض السيرورة "السيميوزس" (Semiosis)عند بيرس كعملية ديناميكية لا متناهية، إضافةً إلى التنوع هنا هو آلية إخرج العلامة من حدود اللسانيات إلى فضاء المنطق (الفلسفة) وعلم النفس، مما يوسع مجال السيميائيات للدخول في مجالات عملية عديدة؛ حيث تصبح ليست مجرد أداة لتحليل الوجود أو الرموز اللغوية.

وظف الدكتور محمد سالم في دراسته المخططات (المربع السيميائي وشجرة الاتجاهات)، حيث تمنح هذه المخططات تماسكاً بصرياً، لكنها تظل مكثفة من حيث الأسماء والتيارات، مما قد يشُتِّت القارئ غير المختص.

كما ربط أيضاً بين دوركايم وسوسير في مفهوم "الوعي الجمعي"، حيث كان أهم موقف نقدي مارسه المؤلف يتمثل في شرحه وتبريره لماذا اعتبر سوسير اللغة مؤسسة اجتماعية وليست مجرد أداة فردية.

في هذا القسم من التحليل النقدي، تظهر القراءة الفلسفية للسيميائيات بأكثر من كونها مجرد عرض تاريخي؛ حيث يركز الباحث على لحظات الاضطراب المعرفي التي انتقلت فيها العلامة من كونها أداة تواصل بسيطة إلى كونها آلية لإنتاج المعنى وتفكيك السلطة، وفقاً ما أثبته كلا من بارت وبيرس.

5. رولان بارت والتحول من النسق إلى الأيديولوجيا:

في هذا القسم من الدراسة ينتقل المؤلف من" التنظير العام" الى" التشريح الاجرائي " لفكر بارت والسيمائيات التفكيكية، أين يقوم بتحليل كيفية نقل بارت السيمائيات من مجرد دراسة لغوية الى دراسات للأنظمة الثقافية، ويسلط الضوء في قدرة بارت على كشف الأسطور, .(Myth)في الحياة اليومية. حيث لم يقف عند حدود اللسانيات، بل تجاوز في طرحه الى أن جعل من الأزياء والاعلانات أنظمة سيميائية تحمل مدلولات ثانية (أيديولوجية، فكرية)، وضمت المرحلة الثانية الأعمال: الأسطورة اليوم 1956، نظام الموضة 1963مبادئ السيمائيات. (سالم سعد الله، 2017) ويكشف بارت هنا كيفية تحول الثقافة الى دور آخر والى طبيعة مزيفة لخدمة الطبقة البرجوازية.

أعلن بارت القطيعة مع المعنى الأحادي في " إشكالية موت المؤلف" وولادة القارئ، حيث تعتبر هذه أهم النقاط النقدية في الدراسة من حيث أن النص بنية مغلقة يمتلكها المؤلف ويتبنى بدلا من ذلك انفتاح النص، " ولهذه العملية توجه يقتضي ميلاد القارئ على حساب المبدع وكفاية النص لذاته وأن بإمكان عملية القراءة الإمساك بجوانب النص وتأويلها من دون اللجوء الى إرشادات الناص وتدخلاته التي تضع حدودا وضوابط لنشاط التلقي لقد اصبحت فرضية موت المؤلف صيحة الحرب النقدية الجديدة". (سالم سعد الله، 2017، صفحة 126)

يرى الدكتور محمد سالم أن هذا التحول هو الذي يسمح بظهور ما يعرف بـ"لذة النص " حيث يصبح القارئ شريكا في إنتاج الدلالة وليس مجرد مستهلك أو متلقي لها.

ثم ينتقل في الدراسة إلى ربط السيمائيات بالتحليل النفسي وهي سابقة منهجية وبحثية هامة، أين شرح الصلة بين بنية اللغة وبنية اللاشعور عند جاك لاكان.

ويتميز نسق لاكان بوصفه نسقا متميزا مشكلا من ثلاث بنيات: البنية الخيالية، والبنية الرمزية والبنية الواقعية .وقد كونت هذه البنيات بمجموعها بنية الذات في اللاوعي فالبنية الخيالية تعكس الرغبة في رسم الصورة اللاواعية التي تحملها الذات عن نفسها، والبنية الرمزية تشكل صعيد إقامة الذات وتعكس البنية الواقعية المظاهر المؤسسة للأنا والتي يتم انتاجها في ظواهر اللاوعي فضلا عن تشكيل صورة (الأنا)بوصفها معيارا منظما للذات في الواقع (كليمان، 1988، الصفحات 23-25)

شرح الدكتور مقولة لاكان الشهيرة بأن اللاشعور مهيكل مثل اللغة مبينا أن العلامة لم تعد تبحث عن مدلول في العالم الخارجي بل أصبحت تعبر عن رغبة ذاتية ومسارات نفسية معقدة يصعب كشفها.

يطرح الكاتب أيضا تساؤلات نقدية حول سلطة المنهج ويحذر من تحول السيمائيات الى أداة للهيمنة الفكرية الغربية التي تفرض قوالبها على النصوص الثقافية المختلفة فيما تعرف بالإمبريالية المعرفية في السيمائيات، مشيرا إلى خطورة تفكيك المعنى لدرجة العدمية: «أكد التو سير في قراءته رأس المال أن القراءة الفلسفية هي شيء مضاد للقراءة البريئة تماما، وإنما قراءة آثمة لا تبرئ من خطئها باعترافها به ،وأن ثورة ماركس النظرية لا تقوم على التفسير في الاجابات وإنما على التفسير في الأسئلة.. ")سالم سعد الله، 2017، صفحة 135(حيث يدعو الى ضرورة إيجاد توازن بين حرية التأويل ومرجعية النص محذراً من الانجراف وراء التفكيكية التي قد تؤدي الى ضياع الحقيقة العلمية وسط ركام الدوال المتصارعة.

عمل الكاتب على الانتقال من السيمائيات البنيوية التي تبحث عن النظام الى السيمائيات التفكيكية التي تبحث عن الاختلاف واللذة في براعة متناهية لربط الفلسفة بالتحليل النفسي وبالسيسيولوجيا، كما نلاحظ ميله في بعض المواضع الى تبني نبرة دفاعية ضد التفكك المعرفي وكأنه يرى الخطر الذي يمكن أن يؤديه سيادة الدال إلى انهيار المعايير الأخلاقية والمعرفية للمتلقي بالدرجة الأولى، وإلى المجتمعات بالدرجة الثانية.

6. تفكيكية ديريدا من المركزية الى التشتت:

يضع الدكتور محمد سالم سعد الله يده على جوهر التفكيكية حيث يرى أن التفكيك يتجه أساسا إلى نقد الطرح البنيوي وإنكار ثبات المعنى في منظومة النص ويقدم مشروع ديريدا النقدي التفكيك من خلال النقاط التالية:

-الاختلاف Difference
-نقد التمركز Critique of Centricity
-نظرية اللعب theory of Play
-علم الكتابة grammatology
-الحضور والغياب Presence and absence

كل شيء مؤقت في المشروع التفكيكي، لأن جميع التراكيب في حالة مستمرة لا نهائية لقد تأتى ذلك من انحطاط النموذج الإنساني أمام النص وإنكار التقاليد الإبداعية، وترجيع كل شيء إلى عدم الثبات. (سالم سعد الله، 2017)

يوضح محمد سالم أن ديريدا قام باختزال الفرد المنتج -المبدع- وتحويل السلطة إلى حركة الدال مما يعني أن النص يصبح فضاء حرا لا يحكمه المؤلف، بل تحكمه الاستطرادات والفجوات.

حيث يتناول أحد أصعب مفاهيم ديريدا بالشرح المعمق والتوضيح بقوله :" عمد ديريدا إلى بيان صفة التغاير الدلالي مع وحدة الأداء الصوتي مستخدما التوافق القصدي المزعوم بين مفردتي Différance وDifférence هو تغييرنا في حيثية المدلول. (سالم سعد الله، 2017، صفحة 143) ، ان دريدا استبدل حرف e بحرف a في الكلمة الفرنسية ليخلق ها مصطلح يجمع بين المخالفة والتأجيل مما يؤدي الى زعزعة المعنى ويجعله دائما في حالة إرجاء .

يرى المؤلف أن هذا التحول الجزئي في بنية المدلول يمنح اللغة فاعلية فلسفية ومعرفية أين لا يصل القارئ الى معنى نهائي ثابت بل يظل في حالة توليد مستمر للمعنى من جهة، كما يعمل على شرح عملية تقويض مركزية العقل والصوت (logocentrism) (سالم سعد الله، 2017، صفحة 148). لأن التفكيك هو إعلان صريح عن تدمير جميع الدلالات التي تجد مصدرها في اللوجوس أي (العقل).

ويذكر أن ديريدا يرى الميتافيزيقا كحالة من الاستبداد التي تحاول فرض صفة مطلقة وعقلية على المعنى ويحلل المركزية الصوتية حيث يوضح أن الفكر الغربي فصل الصوت عن الكتابة ظنا منه ان الصوت أقرب للحقيقة والحضور، مبرزا هنا أن ثورة دريدا التي أعادت الكتابة بوصفها أثرا لا ينتهي.

وفي شرحه لمفهومي الأثر(trace) واللعب (play) (سالم سعد الله، 2017، صفحة 150) عند دريدا يبرز المؤلف معنى مفهوم لعبة الدال من خلال أن تفكيك المركز يمنح الدوال حرية أكبر في عملية اللعب فالنص يصبح كيانا غير مغلق ويتحول الى متاهة يمنح فيها تغييب المعنى سيادة كاملة للدوال، حيث يؤكد محمد سالم أن هذا اللعب هو ما يكسر قانون الثبات البنيوي لكنه نقديا يظهر كيف أن هذا اللعب قد يؤدي إلى تيه دلالي يفقد النص وظيفته التواصلية.

في هذا الطرح المعقد تميز تحليل محمد سالم بالموضوعية المشوبة بالحذر، فهو من جهة ينبهر بقدرة دريدا على خلخلة الانساق المستقرة كما اشار لذلك في حديثه عن تحطيم الاطر التقليدية، ومنه جهة أخرى يظهر النص كمنظومة معقدة قد تؤدي إلى ضياع المرجع.

فهو لا يكتفي بالوصف بل يقدم تشريحا معرفيا لآليات ما بعد البنيوية، مبينا أن التفكيكية هي استراتيجية قراءة تسعى لاكتشاف ما يسكت عنه النص وليس مجرد هدم عشوائي.

7 . ما بعد البنيوية التأثير والتأثر:

يقدم الدكتور محمد سالم سعد الله للقارئ مدخلا نظريا يربط فيه بين الممارسات الفكرية المعاصرة والجذور اللاهوتية مع التركيز على تحولات ما بعد البنيوية، حيث يرى أن الممارسات الفكرية والنظم اللاهوتية تتيح امتداد نقديا ومنهجيا يساعد في ولادة بدائل مناسبة للمركز العقلي. بيد أن الطروحات الحديثة تنطلق من الإيمان بنسبية الحقائق، ونسبية الظواهر، وشمولية المعرفة.

حاول الدكتور في بحثه رصد ملامح الأزمة الإنسانية التي تشكلت نتيجة ثلاث عوامل أساسية وهي:

-الاصطدام بالموروث: هي الأزمة الناشئة عن صراع الانسان مع الموروثات التقليدية.

-الضياع النفسي: مشكله الضياع في إطار النظام العالمي الجديد بعد مخلفاته الحربين العالميتين.

-الانفصام الدلالي: هو تأكيد على الفجوة الدلالية بين الفرد والمجتمع إضفاء صفة التقديس على الأنظمة التي تحرك السلوك المعرفي للفرد وتعيق قدرته على رسم انتمائه وكينونته.

1.7- القبلانية والجذور الفلسفية:

يقدم الدكتور محمد سالم قراءة عميقة للروابط المعرفية بين القبلانية وبين المناهج النقدية المعاصرة، وتحديدا التفكيكية أين يبدأ بتأصيل مفهوم القبلانية ليس بوصفها مجرد ممارسة دينية بل كفلسفة تأويلية باطنية. ويشير الى أن القبلانية تمنح ترجمة فورية ورمزية لنصوص التوراة والتلموذ والوصايا العشر المنزلة على موسى عليه السلام، فضلا عن تفسيرها للمعاني الكونية، ومساعدتها لمريديها للوصول إلى غاية التحسين الفكري المطلق لهم. (Encyclopædia Britannica : 2001 year in review, 2002) مما يمهد الطريق لفكرة أن النص لا يمتلك معنى أحادي.

وهنا ينجح الباحث في اخراج القبلانية من طبيعتها الطقسية إلى إطارها المعرفي معتبرا إياها بديلا للاهوتي الفلسفي الذي يتجاوز الفكر المعتاد.

كما يرصد حضور هذه الفلسفة في الفكر الغربي الحديث معتبرا أن الكثير من المناهج النقدية المعاصرة هي "القبلانية المقنعة" وفي ملاحظة ذكية منه يربط بين التصوف اليهودي والفكر العالمي الحديث " ... يكفي قراءة ما كتبه جارودي حول الهيمنة اليهودية على السياسة والثقافة العالمية[1] وهيمنة الأساطير (جارودي، بلا تاريخ، الصفحات 33-71-171) اليهودية على بنية الفكر العالمي وتحويل الأساطير الدينية (الأرض الموعودة وشعب الله المختار...) الأساطير السياسية (معاداة الصهيونية للفاشية، وغرف الغاز والملايين السنه، الهولوكوست...) إلى استنزاف متواصل للآلة الاقتصادية الغربية والى التأثير في إصدار القرارات العالمية [1] خاصة بمجالات السياسة والاقتصاد والأدب.

يتبنى محمد سالم نبرة نقدية حادة تجاه المركزية اليهودية ويرى أن التفكيكية ليست مجرد منهج أدبي نقدي بل هي أداة لإعادة صياغة العالم وفق المنظور القبلاني الذي يسعى إلى تفكيك الانساق القائمة.

فهو يربط بين الطقوس التفكيكية "موت الإله" الفلسفي وبين "موت المؤلف" (سالم سعد الله، 2017، صفحة 217) النقدي أين يتحدث عن عزل الإله كخطوة ضرورية لتحول اللاهوت القديم الى فلسفة حديثة، حيث يحل الإنسان سوبرمان محل الاله. ويظهر ذلك في قوله: أن الفكر الحديث يحاول فعلا عزل الإله... وإيجاد بدائل التي رأى منظروها أنها قد تكون مناسبة لتسلم ملكة السلطة الإلهية... واقترح نيتشه الرجل الخارق (superman) لتسلم السلطة، ولم تكن هذه الاحداث، وتلك التطورات بعيده عن الفكر النقدي المنهجي. (سالم سعد الله، 2017، صفحة 221)

تستخدم التفكيكية مفهوم التشتت والغياب لتقويض الحقيقة المطلقة كما عند ديريدا وهذا ما يراه محمد سالم امتداد لتحسين الفكر القبلاني الذي يجعل من المعنى مائعا هلاميا ممتدا وغير مستقر.

فهو يركز على انفتاح النص وعدم نهاية تأويله مشيرا إلى "تشتت المعنى وضياعه والقصد تقديم صورة مثله لتشتت اليهود وضياعهم وصراعاتهم عبر التاريخ من خلال تقديم مفهوم الصراع بين المدلولات داخل النصوص")سالم سعد الله، 2017، صفحة 225(وهذا ما يعكس طبيعة المنهج القبلاني نفسه الذي يرفض الاستقرار على دلالة واحدة في هذه الحالة من السيرورة الدائمة يحلل الباحث مفهوم الاختلاف (Différence) عند ديريدا وفق جعل الدال ضمن هذه السيرورة مما يمنع الوصول الى المدلول المتعالي والثابت وهو الاله، وهكذا يظهر أن ما بعد البنيوية من خلال تقنيات التفكيك قد حولت النص الى بنية مشتتة لا يمكن الامساك بها وبمركزها، وهو ما يتطابق مع الرؤية القبلانية للكون كنثار من الشظايا.

لقد كان للباحث في هذا الطرح الجرأة المعرفية في ربط المناهج اللسانية الحديثة بالأصول اللاهوتية والميتافيزيقية القديمة. حيث كشف ايديولوجيا عن كيفية التعامل مع التفكيكية لا كأداة بريئة بل كاستراتيجية لها جذورها في الفلسفة القبلانية.

2.7- النقد النسوي بين الرؤية الأفلاطونية واشكالية المصطلح:

في خضم هذا الطرح النقدي يقدم لنا الدكتور محمد سالم سعد الله نصا أكاديميا يتناول "النقد النسوي وإشكالية المفهوم مع تركيزها على الجذور الفلسفية – خاصة عند أفلاطون – ففي تحليله للبنية العامة في الفكر النسوي يعمد الى التأصيل الفلسفي، فيستعرض رؤية أفلاطون في " الجمهورية" حيث يرى ان للمرأة الحق في ممارسة نفس وظائف الرجل إذا ما تلقت نفس التربية والدستور،

لكونه يربط ذلك بإلغاء الملكية والأسرة الخاصة" (سالم سعد الله، 2017، صفحة 231) تحت لواء ما يعرف بالشيوعية النسوية[*] (نظلة و مظهر سعيد، 1969، الصفحات 87-88)

ففي هذه الرؤية الأفلاطونية التي تعقد مساواة مشروطة، يبرز الناقد إنصاف أفلاطون للمرأة لكن نقديا فقط. لأن هذه المساواة تعد وظيفية وليست حقوقية ذاتية. فأفلاطون أراد استغلال المرأة لخدمة الدولة المثالية ولم يعترف بكيانها المستقل إلا من خلال ذوبانها في النظام العام. ومحمد سالم يلمس هذا حين يتحدث عن الشيوعية النسوية، لكن لم يبرز أن هذه المساواة كانت تهدف الى تجريد المرأة من أمومتها وخصوصيتها الأسرية لصالح الدولة.

ومما سبق يتضح أن الناقد ينطلق في معالجة إشكالية مصطلح النقد النسوي والفرق بينه وبين فلسفية الانوثة، أين يطرح تساؤلات حول الغرض من إعلان فرادة الجنس في النقد الادبي وما إذا كان ذلك ينقض موضوعية العمل الإبداعي. فالحديث عن المرأة ليس وليد العصر الحديث بل كان مدار بحث منذ الانطلاقة الأولى للفحل النقدي عند اليونان، وهنا يشير الناقد الى التداخل بين المصطلحات (féminine/feminism) والتحولات التي طرأت على مفهوم المرأة من كائن هامشي إلى فاعل في التاريخ الانساني ومسار المعرفة. فهو يفرق بين feminism criticismكتوجه نقدي معاصر وبين (سالم سعد الله، 2017، صفحة 234) feminine كمنظومة فكرية فاعلة ففي عملية التحول الى ما بعد البنيوية والنسوية الحديثة ينتقل الناقد في تحليله إلى مرحلة ما بعد البنيوية التي أعادت صياغة النقد النسوي، والذي كان من أهم أسباب "انبثاقه هو الشعور بغياب صوت الأنثى في الدراسات الثقافية والمعرفية المختلفة، والمطالبة بحقوق المرأة المشروعة(المغتصبة) في العالم الغربي وانتشار هذا النقد واتساعه خضع لمجموعة عوامل مهمة ")سالم سعد الله، 2017، صفحة 236(فيحدد اهم ما حققته هذه الثورة النقدية فيما يلي:

- تقويض المركزية الذكورية: حيث ساهمت ما بعد البنيوية في الكشف عن انحياز اللغة والمعرفة للرجل Androcentric، وسعت إلى إيجاد صوت أنثوي داخل الخطاب النقدي . وقد أسهمت نظريات التحليل النفسي التي اشتغل بها النقد النسوي- حسب وولف – إلى إدراك تأثير البيئة الهائل وتداعياتها على الفعل الرجولي في العصر الحديث. (الحمامصي، 1999)
- استفادة النسوية من التفكيكية لتقويض سلطة الدال الذكوري حيث ركزت بعض الناقدات مثل: جوليا كريستيفا ولوسي ايرغاري على ابراز مبدأ الاختلاف بدلا من مبدأ المماثلة.
- وظف النقد النسوي معطيات علم النفس الفرويدي ليتناسب مع الرؤية النسوية، من خلال استنطاق المسكوت عنه في تمثلات الجسد والرغبة داخل النص الأدبي وبمعنى أخر الكتابة الجسدية للمرأة.

كما يوضح محمد سالم في مؤلفه عن وجود تباينات منهجية بين المدارس النقدية النسوية مصنفا إياها تصنيفا وظيفيا:

- النسوية الراديكالية الجذرية (radical féminism) (سالم سعد الله، 2017، صفحة 234) والتي تركز على فك الارتباط التام مع القيم الذكورية ورفض سيطرة الرجل في المؤسسات الاجتماعية.
- النسوية الليبرالية والانجلو. الأمريكية: والتي تميل الى المطالبة بالمساواة في الحقوق والفرص داخل النظام القائم .

[*] الشيوعية النسوية: هو قانون جديد عند افلاطون يخص المرأة، يحكم القاضي بأن تتحول النساء إلى زوجات يشترك فيها الرجال بحيث لا يكون لكل واحد منهم زوجة خاصة به وبالمثل يكون الأطفال مشتركين فلا يعرف الولد أباه، وتعقد الزيجات لصالح توجه الدولة العام في تحسين النسل ،واضفاء صفة المساواة ولا تميز

- النسوية الفرنسية : التي ركزت على الكتابة الجسدية واللغة الأنثوية المغايرة أي (الربط بين اللغة والهوية الجسدية للمرأة).

3.7- فلسفة ميشال فوكو النقدية :

في هذا القسم من الدراسة ركز الباحث على إنتقال فوكو من سلطة المعرفة الى إشكالية الحقيقة مستعرضا أدوات المنهجية الرئيسية الاركيولوجيا (Archéology)وهو علم الحفريات الذي يشمل بشكل عام دراسة لتاريخ الأفكار وتاريخ الوجود، انطلاقاً من كون الأبنية المعرفية تشكلات تاريخية وانطلاقا من كون الأشياء ليست إلا تجسيدات موضوعية لممارسات معينة) سالم سعد الله، 2017، صفحة 254(. والجينالوجيا Généalogy) أي علم الأنساب الذي يبحث في دلالات الجسد، والخطاب والسلطة، ويبدأ هذا العلم من حيث انتهت نتائج علم الآثار (الحفريات) داخله في مجالات متعددة. (سالم سعد الله، 2017، صفحة 261)

يرى محمد سالم أن فوكو أحدث ثورة على وجود النص، " إن الثورة على الانسان (المؤلف) هي ثورة على جمود المعنى، لأن حضور المؤلف أثناء عملية تحليل النص تقود إلى إيقاف المعنى واللجوء إلى خارجيات النص لتفسيره... عمل النقد برواده بارت، فوكو إلى إفساح المجال لحركة الدلالة مع ثنائية (القارئ / النص)" (سالم سعد الله، 2017، صفحة 252). وهو هنا لا يكتفي بالوصف بل يمتدح القدرة التفكيكية لفوكو التي كشفت زيف "النزعة الإنسانية التقليدية"، ونجح بذلك في ربط بين موت المؤلف وموت الانسان حيث حكم بأن غياب الذات المركزية في النص الأدبي هو صدى لغيابها في العلوم الإنسانية الأخرى.

ومما سبق يشرح الباحث كيف سعى فوكو لتفكيك المفهوم التقليدي للذات أو الإنسان بوصفه مركزاً للمعرفة معتبرا إياه نتاجاً لخطابات وتشكلات تاريخية معينة وليس جوهرا ثابتاً.

قسم محمد سالم دراسته إلى محاور واضحة (الجنسانية، السجن، العيادة) مما سهل استيعاب التحول في فكر ميشيل فوكو من تحليل النصوص الى تحليل الممارسات ويظهر ذلك حين يشير إلى أن فوكو نجح في تفكيك هيبة السلطة وتحويلها من مفهوم سياسي ضيق، إلى علاقات اجتماعية منتشرة. وهو ما يعبر عنه محمد سالم سعد الله بأنه إعادة صياغة ذكية لمفهوم القوة وفق أبعاد دولوز(المعرفة والسلطة والذات). (سالم سعد الله، 2017، صفحة 285)

ويستنتج في الاخير فوكو لم يقدم مجرد تاريخ للأفكار، بل قدم تاريخا للممارسات. وفي هذا إقرار من الباحث بأهمية المنهج الفلسفي لفوكو في كشف آليات القهر المستترة تحت قناع المعرفة الموضوعية.

الخاتمة:

في ختام هذه الرحلة المعرفية بين دفتي كتاب "نقد النص في ما بعد البنيوية: الأسس الفلسفية"، يتجلى دور الدكتور محمد سالم سعد الله ليس فقط كدارس وشارح للنظريات النقدية، بل كان مؤسسًا لرؤية نقدية عربية واعية بتحولات الفكر العالمي.

لقد استطاع الباحث أن يبرهن على أن الانتقال من البنيوية إلى ما بعدها لم يكن مجرد تغيير أو تبدل في الآليات والأفكار، بل كان زلزالًا وتحولًا معرفيًا أعاد صياغة إشكالية الأنسنة النيتشوية وموقع الإنسان من سلطة النص.

كان للباحث بصمته التوعوية في رصد التحولات، وذلك من خلال:

- تقليص الفجوة بين الفلسفة والنقد، وذلك من خلال إثبات أن النقد الحديث لا يمكن أن يستقيم دون فهم منطلقات الأنسنة النيتشوية أو الظاهراتية الهيدجرية ، حيث قام الباحث بتحويل المفاهيم المجردة إلى مفاتيح إجرائية، مبرزًا كيف تحولت سلطة المعرفة عند فوكو إلى أداة لفك شفرات الحقيقة والخطاب الأدبي.

- إبراز سيولة المدلول، وذلك من خلال استعراضه لتفكيكية دريدا وسيميائيات بارت، حيث نقلنا من ضيق البنية المغلقة إلى رحابة لعبة الدال، موضحًا أن النص ممتد ومتعدد التأويلات، حيث يصبح المعنى غير ثابت ومتدفق الاحتمالات.
- نقد المركزيات واستشراف التعددية الفكرية: ففي الفصل الثالث، تبرز براعة الباحث أين وظف مفاهيم النقد النسوي والتفكيك المركزي ليوضح كيف ساهمت ما بعد البنيوية في منح فرصة للمرأة خاصة، كما أن تركيزه على إشكالية المصطلح يعكس وعيًا نقديًا يحذر من التبعية الفكرية وضرورة امتلاك منهجية نقدية مؤسسة على نظريات وقادرة على مواجهة التعدد الأيديولوجي والفكري الفلسفي المعاصر.

إن قيمة هذا العمل تكمن في قدرة البحث على أن يجعلنا ندرك أن ما بعد البنيوية ليست نهاية للمدلول، بل هي ولادة جديدة للقارئ بوصفه شريكًا في إنتاج المعنى. لهذا، يعد هذا المؤلف للدكتور سعد الله مرجعًا لا غنى عنه لكل باحث يسعى للانطلاق نحو فضاءات نقدية أكثر تحررًا وشمولية.

المراجع

- الحكيم نظلة، و محمد مظهر سعيد. (1969). *جمهورية أفلاطون* (الإصدار 3). القاهرة: دار المعارف.
- جاك ليوناردو. (2001). *برس البنيوية- الأدب والنظرية البنيوية دراسة فكرية*. (ثائر ديب، المترجمون) دمشق: منشورات وزارة الثقافة.
- جيرار لو دال. (1988). بيير أوسوسير. *مجلة العرب والفكر العالمي*(3)، 125-113.
- ديان ميكدونيل. (2001). *مقدمة في نظرية الخطاب* (الإصدار 1). (عز الدين اسماعيل، المحرر) القاهرة: المكتب الأكاديمية.
- روبرت هولب. (1999). *نظرية التلقي - مقدمة نقدية* (الإصدار 1). (عز الدين اسماعيل، المترجمون) بيروت: مكتبة النادي الأدبي الثقافي.
- روجي جارودي. (بلا تاريخ). *الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية*. (دار الغد العربي) تم الاسترداد من Https://www.noor_book.com.
- عبد الرحمن عزمي. (1987). ما بعد البنيوية والمعالم الثقافية العربية. *مجلة المستقبل العربي،، 2*(1)، 98-85.
- عبد الوهاب المسيري. (2007). *في الأدب والفكر-دراسات في الشعر والنثر* (الإصدار 1). القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.
- غنية دومان. (2021). الابداع الادبي في منظور آرثر شوبنهاور. *مجلة اللغة العربية وآدابها*(2)، 476-459.
- فاضل ثامر. (1994). *اللغة العربية في اشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث*. بيروت: المركز الثقافي العربي.
- فريديريك نيتشه. (1981). *أصل الاخلاق وفصلها* (الإصدار 1). (حسين قيسي، المحرر) بيروت: المؤسسة الجامعة للدراسة والنشر- السلسلة الفلسفية.
- كاترين كليمان. (1988). اللخيالي، الرمزي، الواقعي. (كمال مصطفى، المحرر) *مجلة بين الحكمة*(8).
- كوفالسون. (د س). *المادية التاريخية*. (إلياس شاهين، المترجمون)
- محمد سالم سعد الله. (2017). *نقد النص فيما بعد البنيوية الأسس الفلسفية*. الاردن : عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.
- مصطفى ناصف. (2000). *نظري التأويل* (الإصدار 1). جدة: مكتبة النادي الادبي الثقافي.
- وليد الحمامصي. (1999). المرأة والكتابة الروائية. *مجلة ألف*(19)، 191-185.

References

- Encyclopædia Britannica. (2002). *2001 Year in Review*. Retrieved from: https://archive.org/details/britannica200100ency

Arabic

- ʿAbd al-Raḥmān ʿAzmī. (1987). “Mā Baʿd al-Binyawīyah wa-al-Maʿālim al-Thaqāfīyah al-ʿArabīyah.” *Majallat al-Mustaqbal al-ʿArabī*, 2(1), 85–98.
- ʿAbd al-Wahhāb al-Masīrī. (2007). *Fī al-Adab wa-al-Fikr: Dirāsāt fī al-Shiʿr wa-al-Nathr* (ṭ. 1). al-Qāhirah: Maktabat al-Shurūq al-Dawlīyah.
- al-Ḥakīm Naẓlah, wa Muḥammad Maẓhar Saʿīd. (1969). *Jumhūrīyat Aflāṭūn* (al-Ṭabʿah 3). al-Qāhirah: Dār al-Maʿārif.
- Diyān Mīkdūnil. (2001). *Muqaddimah fī Naẓarīyat al-Khiṭāb* (ṭ. 1). (ʿIzz al-Dīn Ismāʿīl, ed.). al-Qāhirah: al-Maktab al-Akādīmī.
- Fāḍil Thāmir. (1994). *al-Lughah al-ʿArabīyah fī Ishkālīyat al-Manhaj wa-al-Naẓarīyah wa-al-Muṣṭalaḥ fī al-Khiṭāb al-Naqdī al-ʿArabī al-Ḥadīth*. Bayrūt: al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī.
- Frīdīrīk Nītshih. (1981). *Aṣl al-Akhlāq wa-Faṣluhā* (ṭ. 1). (Ḥusayn Qaysī, ed.). Bayrūt: al-Muʾassasah al-Jāmiʿīyah lil-Dirāsah wa-al-Nashr, al-Silsilah al-Falsafīyah.
- Ghania Doumane. (2021). “al-Ibdāʿ al-Adabī fī Manẓūr Ārthur Shūbinhāwar.” *Majallat al-Lughah al-ʿArabīyah wa-Ādābuhā*, no. 2, pp. 459–476.
- Jāk Liyūnārdu. (2001). *Birs al-Binyawīyah: al-Adab wa-al-Naẓarīyah al-Binyawīyah, Dirāsah Fikrīyah*. (Thāʾir Dīb, trans.). Dimashq: Manshūrāt Wizārat al-Thaqāfah.
- Jīrār Lū Dāl. (1988). “Bībir ū Sūsīr.” *Majallat al-ʿArab wa-al-Fikr al-ʿĀlamī*, no. 3, pp. 113–125.
- Kātrīn Klīmān. (1988). “al-Khayālī, al-Ramzī, al-Wāqiʿī.” (Kamāl Muṣṭafā, trans.). *Majallat Bayna al-Ḥikmah*, no. 8.
- Kūfālsūn. (n.d.). *al-Māddīyah al-Tārīkhīyah*. (Ilyās Shāhīn, trans.).
- Muḥammad Sālim Saʿd Allāh. (2017). *Naqd al-Naṣṣ fīmā Baʿd al-Binyawīyah: al-Usus al-Falsafīyah*. al-Urdunn: ʿĀlam al-Kutub al-Ḥadīth lil-Nashr wa-al-Tawzīʿ.
- Muṣṭafā Nāṣif. (2000). *Naẓarīyat al-Taʾwīl* (ṭ. 1). Jiddah: Maktabat al-Nādī al-Adabī al-Thaqāfī.
- Rūbart Hūlb. (1999). *Naẓarīyat al-Talaqqī: Muqaddimah Naqdīyah* (ṭ. 1). (ʿIzz al-Dīn Ismāʿīl, trans.). Bayrūt: Maktabat al-Nādī al-Adabī al-Thaqāfī.
- Rūjī Jārūdī. (n.d.). *al-Asāṭīr al-Muʾassasah lil-Siyāsah al-Isrāʾīlīyah*. Dār al-Ghad al-ʿArabī.
- Walīd al-Ḥamāmaṣī. (1999). “al-Marʾah wa-al-Kitābah al-Riwāʾīyah.” *Majallat Alf*, no. 19, pp. 185–191.